التمايز في شرح العقيدة المسيحية

(٧)

بين الشرق والغرب

دكتور

رؤوف إدوارد

٢٠١٧

www.coptology.org

التمايز في شرح العقيدة المسيحية (٧)

بين الشرق والغرب

التبرير في المفهوم الأرثوذكسي

قلنا في المقالات السابقة (# ٣) إن آباء الشرق جميعاً قرأوا رومية ٥:١٢ بأن موت وفساد الطبيعة الإنسانية إنتقل من آدم إلى ذريته بالوراثة وليس خطية آدم. وبالتالي ركّزوا على سِرّ تجسد المسيح إبن الله كأساس لخلاص الإنسان المحتاج لتجديد طبيعته، المحكوم عليها بالموت، إلى طبيعة جديدة أسَّسَها إبن الله للإنسان عندما تجسد. بينما ركّز الغرب في العصر الوسيط في أوربا ثم حركة الإصلاح البروتستانتي في القرن ١٦، على صليب المسيح كأساس للخلاص. حيث جاء الغرب بنظرية "البديل المعَاقَب أو البديل الخلاصي" لتشرح كيف أن المسيح حمل خطيئة الإنسان – بينما هو البار – وصُلَب كفاعل شرٍ وإحتمل عقوبة الموت بحسب الناموس. وبذلك قدَّم الترضية للآب ووفَّى مطالب العدل الإلهي فنال حُكم البراءة والعفو من الآب كإنسان بإستيفاء أحكام شريعة موسى، ثم أَعطى لنا حكم البراءة والبر.

إن الغرب إعتبر تبرير الإنسان نتيجةً لحفظ المسيح للناموس والسلوك به ثم قَتْل البار ظلماً على الصليب، فتبرير المسيح للإنسان في اللاهوت الغربي هو نتيجة إستيفاء المسيح للعدل بمفهومه الأرضي .. سِنٌ بسِنٍ وعينٌ بعينٍ. بينما لاهوت الشرق – كما قلنا سابقاً – لم يضع نظريات لاهوتية بل إعتمد على المكتوب في الكتاب المقدس:

(أولاً) ... من حيث أن المسيح لمْ يُصلَب كفاعل شرٍ، بل ظلماً وحسداً وبشهود زورٍ؛ وأن الموت أتى إلى المسيح على الصليب لم يكن بسبب خطيئة صنعها، فهو البار، ولكن بسبب أنهُ ولِدَ من إمرأة تحت الناموس – أي كان يحمل طبيعة آدم بعد السقوط والتي

حَكَم الناموس عليها بالموت ''وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ.'' (غل ٤:٤).

فالمسيحُ ولِدَ في شبه جسد الخطية ''فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ'' (رو ٨:٣) بمعنى أن يسوع البار الذي لم يصنع إثماً أخذ طبيعتنا التي عليها حُكم الموت بسبب خطية آدم؛ وأن المسيح صنع هذا بسبب محبته لنا ''ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي'' (غل٢:٢٠)؛ وأن المسيح لم يخضع للشيطان أو الموت ''لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضاً'' (يو١٠:١٨). بل قَبِل أن يدخل بيت القوي (الموت) وينهب أمتعته (البشرية التي تحت سلطان موت الخطية) (مت ١٢:٢٩).

إن العدل الإلهي الذي يقضي بموت الخاطئ، ورحمة الله التي تقضي بخلاص الخاطئ لا يمكن أن يكونا على طرفي النقيض – يعمل أحدهما ضد الآخر كما في الإنسان المنقسم على ذاته (مت ١٢:٢٥). فعمل الله كامل ومتكامل وليس فيه تناقض وإنقسام. فالعدل الإلهي هو الجانب الآخر لرحمة الله، فهو عدل يعيد ما ضاع ويجدد ما أصابه الموت. وقد ألمح الرب بنصيحته في (لو٥٧ :١٢) بسمو عدله فوق عدل الإنسان وفوق الناموس.

(ثانياً) ... إن التعبير اللاهوتي في غلاطية ٢:١٦ يصبغ اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي كله ''إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا ... لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ اللهِ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِالنَّامُوسِ بِرٌّ، فَالْمَسِيحُ إِذًا مَاتَ بِلاَ سَبَبٍ!'' لأنه يثير السؤال هل بر المسيح الذي برَّرنا به، هو بره كإنسان نفَّذ وقام بكل ما هو مطلوب منه كإنسان حسب الناموس والشريعة؟ الإجابة بكل يقين: لا.

بالرغم أن المسيح تمَّمَ كل بر (مت٣:١٥). فالناموس أو الشريعة وُضِعَت للبشر، وهي لا تخّص واضع الشريعة لأنه لا يستمد برّه من الشريعة، بل من كماله الإلهي. فلو

كان بر المســيح الذاتي من الناموس، لَتَحَوَّل بر المســيح إلى قدرة إنســانية تكفي فقط الإنسان يسوع المسيح، ولا تكفي الإنسانية كلها من آدم إلى آخر الدهور. إن ق. بولس (رو٥: ٢٠،٢١) لا يقارن موت آدم بموت المســيح بل يقارن بين موت آدم وبين النعمة التي بالمسيح ''كَمَا مَلَكَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْمَوْتِ، هكَذَا تَمْلِكُ النِّعْمَةُ''. ولا يقارن بين خطية آدم وبين تنفيذ المسيح لوصايا الناموس بل الهبة والنعمة ''وَلكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيَّةِ هكَذَا أَيْضًا الْهِبَةُ ... وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا''.

فلا مجال هنا لعدالة الناموس ســن بســن و عين بعين أو عدالة البشــر في محاكمهم. فهي ليســت مبادلة ولا موت نيابي يُدفَع فيه ثمن خطية. التبرير لم يكن قراراً إلهياً جاء نتيجة حفظ المسيح للناموس والشريعة اليهودية. بل أُعلن كنعمة تُوهَب للإنسان بسبب صلاح الله وليس صلاح الإنسان يسوع، بالرغم من أنه البار ''«الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ»'' (١بط ٢: ٢٢).

لذلك فنحن أخذنا البر الإلهي كنعمة من الإله يسوع المسيح. هنا نرى معنى ما قاله ق. أثناســيوس ''أعطانا الذي له وأخذ الذي لنا ''. المســيح لم يأتي بقرار عفو عن الخطاة – فهذا لا يتطلب تجســد الله – بل جاء لتغيير الطبيعة الإنســانية إلى مجده وبرّه على ســبيل النعمة ''وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُــوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّــورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ''. (٢كور ٣: ١٨). هذا المجد لا يعرفه الناموس ولا علاقة له به. وفي (تي ٣: ٧) ''حتى إذا تبررنا بنعمته ،نصــير ورثة'' نرى أن التبرير بالمفهوم الإنجيلي الشرقي هو تغيير الطبيعة كضرورة لميراث الملكوت. كان بولس بحسب الشريعة والناموس بلا لوم. ولكن إعتبر بره الذي بالناموس نفاية أمام البر الذي له من الله والذي ليس حســب الناموس ''مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلاَ لَوْمٍ. لكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحًا، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَـارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِـبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ،وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ (أمانة) الْمَسِــيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ. لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ

قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ، لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ''. (في ١١:٣-٦).

إن عظمة بر المسيح أنه هو هو بر الله - برٌ واحدٌ لاينقسم - وهو يفوق كل ما يقرره الناموس كثمرة لإرضاء العدل الإلهي - وثبّته بعقوبات من أجل إستقرار العلاقات الإنسانية. والدليل أن عينيّ بولس كانت على القيامة والحياة الأبدية، أشياء لم يَرِد بخصوصها شيئٌ بالمرة في شريعة موسى ولا في نظام الذبائح. فالتبرير بالروح في المسيح ليس إعلان براءة الخاطئ، ولكن هو الإنضمام إلى المسيح أي الكنيسة. ''لِكَيْ لاَ يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ .. وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً. حَتَّى كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ»''. (١كور ١:٣٠) هنا يَظهر المسيح نفسه كأقنوم حيث تتوالى أسماؤه: الحكمة القداسة البر الفداء لتؤكد أننا إزاء علاقة شخصية تجعل عدل الله وبر الله هو شخص المسيح ، وليس مبدأ قانوني يُطَبق حسب قواعد الشريعة.

والسبح لله. (يُتبع)

بقلم : **د. رءوف ادوارد.**